

# حول أسلوب التكتل

أيها الرفاق<sup>(١)</sup>

إن الأعضاء كباراً وصغاراً يجب أن يخضعوا للنظام الداخلي للحزب، هذه مبادئ عامة وهي وحدها المقبولة. . وسأحاول أن أشرح نظرتي والدوافع التي دعنتني إلى اتخاذ مثل ذلك الموقف وهو. . (السفر إذا نُشر قرار فصل الأستاذ صلاح في الصحف) إذا كان بعض الرفاق لا يعرفون المشكلة إلاً بتبجتها في ذلك اليوم فإنها قديمة وقديمة جداً، وهنا في هذا المؤتمر من يعرف موقفي منها منذ القديم، ويعرف اني دوماً كنت أعترض على الانسياق في مثل هذا الطريق الضال خوفاً على الحزب، وكانت الأحداث تأتي لتزيدني اقتناعاً بأن ذلك الطريق لم يكن طريق الخير والنجاح بل العكس تماماً. المبادئ العامة قام الحزب أساساً عليها، ما كان يستطيع المضي في طريقه وأن يناضل ويلفّ حوله جماهير الشعب، وينتشر في شتى الأقطار العربية، ويدوم عشرين سنة وأكثر لو لم يكن صحيحاً. وهذا لا يمنع بالطبع من القول بأن هناك أمراضاً. رفاق كثيرون في مسؤولية القيادة والسلطة يعرفون موقفي منذ أن ظهرت هذه الأزمة في الحزب، يعرفون بأنني اكتشفت ما فيها من اصطناع وتزييف وافتعال، وأنه بالامكان دوماً أن تتخذ بعض الأخطاء والتصرفات حججاً وذرائع من أجل تنفيذ خطة مقصودة وغرض مبيت، وعندما أنتبه لذلك وأعترض وأحذر وأخاف، لا أخاف على صلاح البطار. . لا أعرف كيف أصف الدرجة التي أحب فيها الحزب. . صلاح صديق العمرلي، هذا صحيح وتلازمنا وبقينا سنين طويلة ونحن

(١) كلمة ثانية في المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في ٣ شباط ١٩٦٤.

في موقف واحد ننظر إلى القضايا العامة، ونحلل الأوضاع القومية لنقوم بخدمة ما، لنعمل شيئاً لجيلنا ولوطننا، ولم يكن العمل سهلاً. وآخر الأمر صمّمنا وبدأنا وتعثرنا كثيراً، كل هذا الماضي الطويل يجعل من رفقتي وصدائتي لهذا الزميل شيئاً ثميناً وقوياً ولكني لا يمكن أن أضع فوق الحزب الذي من خلاله أرى مصلحة الأمة، أي شخص أو ولد أو بشر. ولكن هو خوفي على الحزب، وأعرف متى تكون المبادئ مطبقة لنفسها ومتى تكون مطبقة لدوافع ومصالح شخصية لا يقصد بها مصلحة الحزب، بل تنفيذاً لخطة حفنة من الأشخاص تحركهم الأغراض والنزوات، وأعتقد بأن ما وصلنا إليه هو دليل ساطع كالشمس بأن هذه الطريقة والخطة ليس فيها ضمير، وان أشياء كثيرة قد دخلت على هذا الحزب مفتعلة، تبين أن خطة وضعت لاقضاء أشخاص معينين، إذا ما أقصوا فيمكن عندها للجماعة أو للشلة أن تنفرد بقيادة الحزب والسلطة، وتبرر في سبيل ذلك كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة. جاء هذا المؤتمر بتصميم لأن يكون إنقاذاً للحزب والبلاد، وأن تسوده روح المحبة رغم كل شيء، وأنا لا أقول المحبة تعني التسامح مع الاقطاعي، بل في داخل الحزب يجب أن نحتكم إلى المحبة، فنحن أيها الرفاق في معركة تاريخية إما أن يصمد فيها هذا الحزب ويتحقق أمل كبير للأمة ويفسح المجال أمام تجربة ثورية بأن تبني نفسها شيئاً فشيئاً، أو أن تتبخّر وتتلاشى في هذه المعركة. كان من المفروض، كان العقل والوجدان والروح الحزبية والقومية، كل هذا كان يقتضي بأن نكون أشد تماسكاً وتراصماً وتضامناً من أي وقت مضى، لا أن نفتتح معركة داخلية في الحزب من الصراع على المراكز والمناصب والقيادات ونلهي الحزب بهذه الأشياء وننسى أننا محاطون بالأعداء. ان من يستلم حكماً يجب أن يعطي كل يوم وكل شهر شيئاً جديداً للشعب حتى يحصن الحكم نفسه أمام مؤامرات الأعداء. في هذا الطرف بالذات كنا واثقين ببعضنا فإذا بالمعركة تفتتح، ونفاجأ بمعركة مفتعلة مصنوعة ولو أنها ارتكزت أيضاً إلى أشياء حقيقية من نواقص في الحزب والأشخاص. ولكن هناك فرقاً كبيراً بين تذرّعنا بالنواقص هذه، للتهديم، وبين إتمامها وإكمالها. كيف أجاز البعض لنفسه في مثل هذه الظروف القاسية أن يبدأ مثل هذه المعركة؟! أنا أعرف أن الخطة قديمة ولكنها

لم تتخذ هذا الأسراع في التنفيذ إلا في وقت معين وعندما ظهر بأن السلطة قد خلصت للحزب، أي في اللحظة الثمينة النادرة التي أتاحت للحزب كي يعطي ويقدم ويستقطب الجماهير في سوريا وأن يكسب ثقتها ويستعري اهتمامها في الأقطار العربية الأخرى، في هذه اللحظة التي كان يطلب منا فيها الوحدة التامة في الحزب كي تتمكن من التحقيق والانجاز، فتحت معركة الانقسام. لم يكن صلاح البيطار إلا وسيلة ومناسبة وأداة، لم يقصد بشخصه، لذلك نبهت الى الخطر. لم أكن أقصد شخصاً مهما كانت قيمته وكفاءته - ومهما كانت معزته عندي - وإنما كنت أقصد الحزب. ثم تنالت الفصول للخطة، وعندما لانبث في خطر كهذا الخطر ولا نوقفه عند حدّه فإن الأمور كلها تضطرب وتختل، وعندما يمكن أن يُدفع الشخص المخلص دفعاً ودون انتباه وتقدير للعواقب إلى المخالفات، إلى أعمال يائسة. . الأشياء التي جمعت وضخمت واختلقت على صلاح البيطار قبل المؤتمر القطري لم تتناوله في إخلاصه للحزب وفي عقيدته ومبادئه وإنما تناولته في بعض تصرفاته بالحكم، ولكن فيما بعد تطورت الأمور وبشكل أراني مضطراً أن أصرّح ببعض الأشياء. . بعد نكسة العراق وقد اطلعت في جلسة أمس على أشياء كثيرة من هذه الصفحة، بعدها شعرنا كمسؤولين عن هذا الحزب وعن ماضيه ومستقبله اننا مطالبون بعمل سريع وبنقد ذاتي، نرفع فيه عن الحزب مسؤولية أخطاء وتصرفات استغلها أعداء الحزب في العراق وخارج العراق وضخموها عشرات المرات وأضافوا إليها واختلقوا، لكن لاشك انه كان هناك لها أساس من الحقيقة سمح لهؤلاء الأعداء والخصوم لأن يتمادوا في الافتراء، فشرعنا بخوف مشروع على الحزب من أن ينال منه الأعداء ويشككوا فيه وفي عقائديته وتكوينه كله، إذا كان الحزب يسمح لمثل هذه الأخطاء أو يتغاضى عنها أو يعجز عن تصحيحها في حينها. هذا ينال الحزب مباشرة وفي الصميم، وبالتالي يضع سداً منيعاً بينه وبين الشعب وإلى سنين. وعند ذلك على الحزب أن يبذل جهوداً كبيرة لازالة هذا السد. . وعندما جاء رفاقنا العراقيون الذين أبعدوا إلى أوروبا ثم عادوا الى دمشق واجتمعوا في جلسة بالقيادة القومية، صارحناهم بعض المصارحة لا كلها، لأنهم كانوا في حالة من الانفعال

والتأثر، وشملتنا هذه الحالة ومنعتنا من المصارحة الكاملة، لأنهم رفاق وحالتهم لا بد أن تؤثر فينا، ولكن قلنا لهم: إن ما نعهده فيكم من روح حزبية عالية تجعلنا نأمل ونتوقع منكم أن تقدروا ظروف الحزب وظروف البلاد، دون أن ينبهكم أحد الى ذلك. ولكن الرفاق بقوا في حالة التأثر وقالوا بأنكم تطردوننا طرداً او شيئاً من هذا، وكان هذا كلاماً قاسياً، ولا أريد أن أطيل أكثر من هذا في الموضوع. المهم أن هذا أيضاً صعب علينا المهمة وأخر علينا عملية النقد الذاتي التي كانت واجبة، ليبقى الباب مفتوحاً وواسعاً بين الحزب وبين جماهير الشعب، ويبقى على وحدته الداخلية ويبعد عنه التمزق والتشتت في الاجتهادات، ولعلكم عشم وشاهدتم مظاهر تلك الأزمة في تلك الأيام القاسية، ولكننا نحن شاهدنا الشيء الكثير سواء من رفاق العراق أو من خارجه وبعضهم أخذ يستغيث أن يبرأ الحزب من الأشياء التي تُنسب إليه، سواء استطاع المستلمون الحكم بعد النكسة ألا يصدروا فضائح الحزب ولو كانت بأكثريتها مزورة. وعليه أُجلت عملية النقد التي كانت لها فوائد كبيرة. . أعتقد أن صلاح البيطار مهما ظنّ فيه بعض الرفاق ومهما بلغت الانفعالات الشخصية لا يمكن أن ننكر عليه بأنه أحد مؤسسي هذا الحزب منذ اللحظة الأولى لوجوده، وانه وضع فيه كل كفاءاته وأتباعه، وبالتالي يشعر كما نشعر كلنا بالغيرة على الحزب وعلى سمعته، ويتألم أعمق الألم إذا لم يرتفع من الحزب صوت جريء موضوعي ليقول للعالم كله: كلا ليس البعث فاشياً، لايجيز البعث التقتيل والتعذيب، لايجيز هذه التصرفات اللاإنسانية. ان أشياء كثيرة زوّرت على الحزب ولكن وقعت بعض الأخطاء، وعلى الحزب أن ينقدها برجولة، وتعرفون اني قلت كلمة مختصرة جداً بمناسبة مهرجان نصره عدن وضمنتها أسطراً معدودة من النقد الذاتي بصفتي الأمين العام للحزب. وصحيح أن صلاح البيطار تصرّف تصرفاً فردياً عندما نشر تصريحاً في الصحف، ويعرف بعض الرفاق وهم حاضرون كيف كان ردّ الفعل عندي عندما قدّموا لي الجريدة، ولكنني أقول بكل صراحة ان التذرع بهذا لفصل صلاح من الحزب كفر. . وليس هذا انتصاراً لشخص، كلا! وإذا كنا سنتنصر لأشخاص بعد هذه المآسي فلسنا بشراً، ولكننا سنتنصر لقيم حزب مناضل منذ عشرات السنين يقدم

لهذه الأمة التي ظَلَّتْ مئآت السنين تشكو من ضياع القيم الانسانية . إذا كان الحزب سيكفر بمثل هذه القيم ويتذرع بهفوة ليفصل مؤسساً للحزب، ماذا نقول للناس وللشعب، الذي يجب أن نقدم لهم قيماً جديدة، إذا كنا نحن ننشئ من بعضنا . ؟  
أعرف أن المنطق يعطي أسلحة جديدة لكل من يبرر، وأعرف هذه المبررات والحيل ولكنها لاتنطلي عليّ بكل صراحة . ولما لم أجد التجاوب التام وبالأحرى لم أجد عملاً يوقف مثل هذه الأساليب التي تكاد تؤدي بالحزب، والى أين نحن سائرون؟  
عندها نعم فكّرت في السفر وذهبت الى رفاقي في القيادة القومية، وقلت ان هذه الحالة لاتطاق، وغداً إذا نُشر الخبر في الصحف سيعتبر كارثة للحزب، وأخبار المؤامرات من كل جانب تحاك ضدنا، فلماذا هذه الضجة الآن؟ ولماذا هذا الدليل الجديد على التصدّع وعلى الانهيار؟ بوسع بعض الرفاق أن يظهروا الأمر على غير هذه الصورة، بأن هذا بداية للحياة الجديدة: انضباط، خضوع للنظام . . ولكن بصراحة أقول: لن تنطلي عليّ هذه الأقوال .

أنا تكلمت في المؤتمر القومي عن التكتل الذي نعرف أصوله منذ زمن الانفصال وتبّعناه وكان يقوم على إبعاد أشخاص معينين عن الحزب . . وبشكل وبكلام صريح واضح ، كان يقوم على إبعاد صلاح وميشيل عن الحزب، على مراحل، وقد أبعدنا فعلاً عن التنظيم، ولم نمانع في ذلك وأنا هنا أريد أن أتكلّم عن شخصي ، لأنني لم أتكلّم مع أحد طوال حياتي الحزبية . . ويعرف الرفاق انني اختلف في أمور كثيرة مع الأستاذ صلاح، ولكن نحن انتبهنا إلى هذا الأسلوب غير السليم وغير البناء . . هناك وقائع كثيرة أكتفي بواحدة منها: في شهر تشرين من عام ١٩٦٢ ، سافرت إلى الجزائر بمناسبة أعياد الثورة وبقيت مدة خمسة وعشرين يوماً غائبة عن سوريا، وعندما عدت وجدت نشرة داخلية من خمس عشرة صفحة، وزعت في غيابي في سوريا وخارجها، صادرة عن القيادة القطرية المؤقتة لسوريا بعنوان (أزمة الحزب) فيها مغالطات وتجريح بماضي الحزب كالذي هو في هذا التقرير<sup>(١)</sup> ، أي من يقرأ هذه العبارات التي

(١) تقرير القيادة القطرية في سوريا للمؤتمر القطري الاستثنائي .

تصدر عن الحزب، والتي تقول إنه لم تكن فيه إلا التكتلات والصراع بين القادة الكبار وأنه لم يتحقق الانسجام فيه يوماً من الأيام. . يتساءل المرء كيف يمكن لحزب كهذا أن يعيش هذه المدة وأن يحقق ما حققه من انتشار؟! .

في المؤتمر القومي، أيها الاخوان، تكلمت عن هذه الظاهرة، وقلت انه قد يكون الذين بدأوا هذا الأسلوب، قد يكونون مدفوعين بدوافع خيرة، بدوافع الغيرة على الحزب وإرادة النفع له، لهم قناعتهم، وقد يكونون مصييين في وضع تصور حل أزمة الحزب، بذهاب فلان وفلان، وأشياء أخرى أيضاً، ولكنهم يعتقدون أن ذهاب شخصين تحجرا ولم يعودا من جيل الشباب. . . يمكن أن يكون ذلك!! ولكن الأسلوب غير سليم، لأن الذين ندعوهم الى هذا التكتل باسم مصلحة الحزب، لينقذوا الحزب من عادات وجمود. . هذه الدعوة بأسلوب التكتل ستشوههم، فلن يكونوا المنقذين للحزب طالما أنهم بدأوا الانقاذ بعملية غير سليمة، ثم كي ينجحوا في التكتل لا يتحررون النوعية، يكونون في الأول مجموعة من (٥ - ١٠) من نوعية جيدة ونشيطة، تهيم الحزب لانطلاقة جديدة، ولذلك افترضت دوماً النية الحسنة، ولكني كنت متخوفاً دوماً من الأسلوب، وأن يتحول التكتل من بعد إلى نوع من العادة وإلى تضامن قد لا يكون دوماً على الخير. صحيح أن الحزب كان يشكو دوماً من ضعف الروح النظامية، هذا صحيح، وصحيح انه يجب أن يقفز قفزة نوعية أيضاً، وهذا ما نحلم به. ولكن يجب أن يكون البدء أيضاً نظامياً وإلا تشوهت العملية كلها منذ البداية.

لا أظن انه يخطر على بالكم بأنني عندما أتخوف من الأسلوب أكون متخوفاً على شخصي وبقاء مركزي في الحزب، قلت لكم بالأمس وأكرر بأنني من سنين طويلة، وقد يكون من السنوات الأولى لتأسيسه ولاعتبارات كثيرة كنت أتمنى باخلاص وصدق أن أكون عضواً عادياً في الحزب وأن أقدم أحسن ما عندي للحزب دون أن أكون في قيادة ما أوفي منصب ما. أحياناً كثيرة كنت أشعر وأتصور بأنني ربما أكون عقبة في طريق هذا الحزب، وإذا جاز لي في هذه المناسبة أن أصارحكم ببعض ما اختلج في نفسي بحياتي الحزبية، أقول لكم بأنني أصبت ببعض العقد

النفسية، كنت أشعر أن أعداء الحزب يحاولون طعن الحزب وإضعافه من خلال شخصي، من جهة، لاعتبارات معروفة، ومن جهة ثانية، ليس عندي طموح الزعامة، وهذا نقص كما أظن. كنت في تناقض. . . فمن جهة أشعر بغيرة على الحزب لأنه يعادل حياتي كلها، ومن جهة ثانية أشعر انني عقبته في طريقه، وتستطيعون أن تقدروا الآلام التي انتابني خاصة هذه السنة في الأزمة مع عبدالناصر. . . وقد كان واضحاً لي حيث هذه الأجهزة لا بد أن تستغل هذه النواحي، وكنت بيني وبين نفسي أفتش عن مهرب إذا شئتم فلا أجد، لا أستطيع أن أترك الحزب ولا أقبل أن أضربه. وتريدون تفاصيل أكثر من ذلك فهذه ليست أوهامي، بل حقائق حين حدثت ثورة ١٤ رمضان كنت والبيطار في تنزانيا، وعدنا وفي مطار القاهرة شاهدنا محرراً أخبار اليوم، وكان المتكلم الأستاذ صلاح، وكنت قليل الكلام، وطرح عليّ أسئلة وأخذ يكتب، وفي صحف القاهرة نسب الكلام بأجمعه لي «زعيم حزب البعث ومعه عضو من الحزب» وشعرت أن الخطة بدأت منذ ذلك اليوم لابرار إسمي وطمعن الحزب. هذا شيء من الأزمة التي نعانيها في داخل الحزب. لذلك نحن في مراكز لانحسد عليها، وفي كل مؤتمر قومي أحاول أن أبتعد ثم أجد نفسي بشكل من الأشكال مضطراً للقبول، وفي هذه المرة في المؤتمر القومي السادس أخذت أخاطب نفسي وأقول لا يجوز أن أخطيء وأقبل. . . وضغطوا عليّ وقبلت ولكن هذه الغيرة على الحزب وهذا الحب يعطيني الحق في أن أصرّح، والمسألة ليست مسألة صديق عزيز عليّ بل المسألة أخلاقية: ليست بهذا الشكل تُبنى الثورة العربية وتصحح الأخطاء وتقوم الأوضاع الفاسدة منذ مئات السنين، وليس بهذا الشكل يكافأ الأشخاص الذين وضعوا حياتهم في الحزب. ثم ان هناك أموراً تتعلق بالناحية السياسية، فعندما يفصل شخص من هذا الوزن فله معنى كبير في علاقة السلطات بعضها ببعض، لذلك أنا أعتبر بأن الموضوع جدي، وأن من واجب هذا المؤتمر الذي دفعته الحساسية للحرص على النظام، جدير به أن يعيد النظر في مثل هذا القرار الذي فصل بموجبه الأستاذ صلاح.

٣ شباط ١٩٦٤